الفنون

الفن المصرى

للدكتور احمد موسى

تمهيد

سل من شئت من المصريين عن تاريخ مصر الفنى وعما فى تراث لأجداد من مميزات ، وعن الناحية الجميلة الممتعة فيه ؛ بل سل أغلبية ناس فى مصر ممن زاروا أهرام سقارة ، وممن تطرف فى حب لشاهدة للآثار المصرية وسافر إلى الاقصر ، وشاهد معبد الكرنك طيبة ووادى الملوك والملكات وتمثالى ممنون ؛ سل كل هؤلاء عما ماهدوه وعما استفادوه ، وعن ناحية الجمال فيما عاينوه ، فلا تسمع لا تخبطا يكاد لا يختلف عما تسمعه من أمى يعيش بجوار هذه الآثار لموال أيام حياته !

ثم شاهد مدينة القاهرة - على اعتبار أنها عاصمة القطر وأهم مدينة فيه - وما فيها من ضروب الخروج على أبسط مبادىء الذوق لعام ، واخطر فى أحسن شوارعها يستوقفك شذوذ الانسجام فى مبانيها وظاهرة انحطاط الذوق فى كل ما فيها ؛ ثم تفلسف قليلا لمعرفة السبب فى ذلك تجده دون شك ينحصر فى جهل الناس معنى الجمال ومعنى الذوق ومعنى الفن . وهم فى ذلك سواء ، يستوى الجاهل مع العالم ، والفقير مع الغنى ، والشيخ مع الافندى

بيوت عالية شاهقة ، وأخرى واطئة حقيرة ، كلها متجاورة . وإذا صادفت عشر عمارات كبار الواحدة ملتصقة بالأخرى ، ترى لكل منها شكلا ولكل منها منهجاً ؛ كل هذا بجانب دكاكين كتب فى أعلى مداخلها باللغة الاغريقية مرة وبالعبرية أخرى وبالأرمنية ثالثة ، دكاكين كتب أعلى مداخلها بالفرنسية حينا وبالايطالية أو الانجليزية حينا آخر ، كما تصادفك أخرى كتب عليها بالعربية لغة الوطن ، لغة البلاد !

تأمل كل هذا ، ثم عرج على آثار الأقدمين ترَ أنها منسجمة ، كلها من طراز واحد سمى الطراز المصرى القديم . وإذا شاهدت المساجد جميعها رأيتها من طراز سمى «الأرابسك» فيه روح الانسجام ، دون حاجة - فى هذه أو تلك - إلى دقة الفحص لمعرفة عصر الآثار ، وهل هى من مبانى الأسرات الأولى أو المتوسطة أو الأخيرة ، كما أنك لا تضطر إلى فحص نقوش مسجد أو كتاباته أو تفاصيل مبانيه لتعرف إن كان من الطراز الطولونى أو الفاطمى أو طراز المماليك البحرية أو الشراكسة ، وما ذلك إلا لان الأول مصرى والثانى إسلامى

هذا ما سار عليه الناس أيام كانوا أميين ، أما اليوم حيث كثر المتعلمون ، وأصبحوا يلبسون كما يلبس الجنتلمان فى أوربا ، فنرى أنهم مع مزيد الأسف قد تجردوا من الذوق وبعدوا بعدا شاسعا عن المعرفة الحق ، والثقافة الكاملة المؤدية إلى حسن التقدير والاستمتاع عن طريق التذوق

لعل قائلا يقول : وماذنبنا نحن فى هذا ؟ الواقع أن الذنب راجع إلى مناهج التعليم المصرية ، لأنها تجردت من كل المشوقات للدرس ، وخلت مما يمهد لحب الفحص والنقد ، فضلا عن بعدها عن كل ماينتمى إلى الذوق العام بصلة

وفى أيامنا هذه كثر اللغط حول معارض الفن وحول التصوير والنحت وحول الموسيقى ووجوب تدريسها بالمدارس الابتدائية والثانوية ، على أنى أعتقد أن كل هذا لا يخرج عن معالجة الأعراض ، أما الأسباب فهى عند أولى الأمر فى المؤخرة

قرروا تدريس الموسيقى فى المدارس ، فهل قرروا إلى جانب ذلك تحسين الموسيقى وجعلها تخرج عن الوحدة الملائمة للرقص الخليع ورقص الخيل ؟

وهذا نفسه ينطبق على نوع التثقيف الفنى . فمنذ أن كانت لنا مدارس ابتدائية وثانوية وفن الرسم والتصوير باقيان على ماهما عليه لم يتغيرا ولم يتطورا ، حتى كتب التاريخ العام لاترى فيها أثراً لمعنى تاريخ الفن أو تاريخ الآثار تفصيلا أو إجمالا ، مع أن التاريخ فى جوهره يعتمد عليهما إلى أبعد حد

وهذا لم يكن سبباً كافيا لمن أولى الأمر على الاهتمام بدراسة تاريخ

(ش ١) مقبرة مصرية من عهد ما قبل التاريخ

الفن ، ليغرسوا فى نفوس النشء شيئاً من التذوق والمعرفه الفنية

كان تاريخ الفن ضمن مواد الدراسة فى كلية الهندسة عندما كانت مدرسة عالية ، أما الآن فقد تقرر إلغاء تدريس هذه المادة للثقة التامة فى عدم نفعها أو على الأقل لعدم الحاجة إليها فى المستقبل العملى للمهندسين . أما كان الأجدر بكلية الطب إلغاء مادة الصوت والضوء من علم الطبيعة ومادة التشخيص الباطنى لمن سيكون طبيباً للعيون . وإذ كان الأمر كذلك فلم يدرس طلبة كلية الحقوق القانون الرومانى ؟ ولم يدرس طلبة كلية الآداب شيئا من الأدب الأغريق مثلا مع أنه لاينفعهم فى مستقبل حياتهم؟ (وهذا غير صحيح) الحق أننا نتخبط ولا نعرف إلى أى اتجاه نسير . فالثقافة العامة لن تكون كاملة مالم تشمل أيضا المعرفة بأصول الفن عن طريق دراسة تاريخه ولو إجمالا ؛ إن الرسم والتصوير والنحت فنون ليست من شأن الرسامين والمصورين

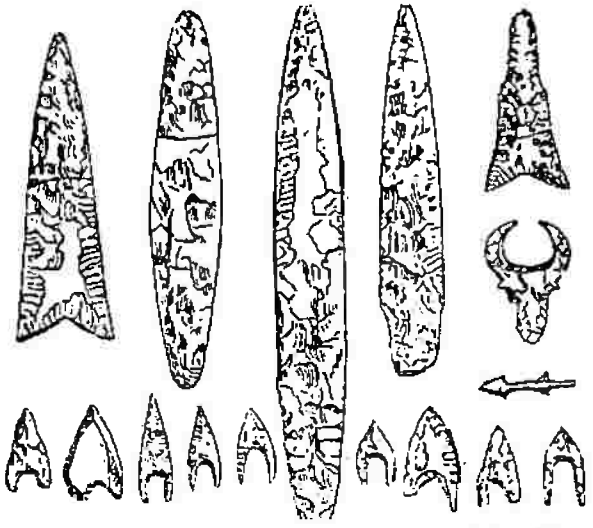

(ش ٢) اسلحة من حجر الصوان المصرى من مصر ما قبل التاريخ

والنحاتين وحدهم ، بل هى من شأن المجموع ، إذا علمنا أن الفنان لايعيش لنفسه ، كما أن خلقه الفنى لايسجله هو بشخصه ، بل أيضا بعصره الذى عاش فيه ، وبوطنه الذى شب على أرضه

وهذا مايحتم علينا أن نعنى عناية خاصة بتاريخ الفن المصرى والفن الاسلامى ، وإذا كان مقال اليوم منصبا على الفن المصرى وحده إجمالا ، فإنى أبدأ هنا بالتمهيد والتقديم له لأنى لا أقصد بالكتابة مجرد الكتابة ، ولا بنشر الصور مجرد التحلية ، وإلا فما كان أهون على من أن أتخير أجزل العبارات واجمل المصورات ، ولكنى كما ترى أذهب بك ثمانية آلاف سنة إلى الوراء . لكى أستطيع أن أوضح فى بساطة كيف نشأ الفن المصرى وكيف نما وازدهر

والناظر إلى خريطة العالم يرى أن القطر المصرى يتوسطها تقريبا إذا أراد أن يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين متكافئى المساحة والتكوين ، كما يرى أن وادى النيل أهم بقعة فى القارة الأفريقية ، ومن أهم مواقع الاتصال بين القارات جميعا .

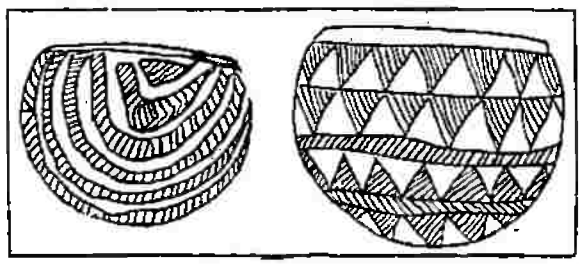

(ش ٣) آنيتان مصريتان من عصر ما قبل التاريخ

وإذا كان هيرودوت قد قال بأن مصر هبة النيل (Homeros, Od. 4,351-355.) فلأنه كان ثاقب الفكر بعيد النظر ، لتوقف حياة مصر على النيل مباشرة حيث نشأت فى واديه أقدم مدنية عرفها التاريخ ولا يزال العالم أجمع يعجب بعظمتها فى كل نواحيها

سارت هذه الحضارة والمدنية سيراً بطيئا طبيعياً كحال الحضارات الأخرى ، مع فارق واحد هو التبكير العجيب ، وإن علمنا أنها بدأت منذ خمسة آلاف سنة ، فان ثلاثة آلاف قد سبقتها تمهد لها أعنى منذ أصبحت أرض مصر الواقعة على ضفتى النيل صالحة للزراعة

هب إلى وادى النيل جماعات من تلك التى كانت تعيش فى الأراضى القاحلة بصحراء ليبيا ، والدارس لمقابر هؤلاء وما وجد فيها من متروكات ، يستطيع أن يقف على طرق معيشتهم وأحوالهم رغما عن قلة ماتبقى منها (ش ٤) فيرى أنهم صنعوا العصى من سيقان الأشجار بمقابض من الحجر ، كما زينوا أوانيهم الفخارية بأشكال متناظرة الرسم ، متكررة الوضع لاتخرج عن خطوط مستقيمة متقاطعة أو منحنية أو دائرية ، رسمت داخلها خطوط أخرى أقرب إلى الهامشور فى أبسط مظاهره

وبمشاهدة مجموعات الأوانى الفخارية يمكن ملاحظة التقدم التدريجى الذى طرأ عليها ؛ فترى أنها اكتسبت شكلا تكويلياً أجل (ش ٤) وزودت برسومات صغيرة مثلت شيئاً من حياتهم ، فضلا عن التقدم الفنى الذى نستطيع ملاحظته بمقارنة الأوانى فى (ش٣) وفى (ش ٤) بعضها ببعض . والناظر إلى الآنية الوسطى من (ش٤) يرى على سطحها الدائرى رسوما ضعيفة ، تمثل أناساً يحمل أحدهم إلى أقصى اليسار وعاء على رأسه ، كما يرى على الجانب الأيمن للوعاء نفسه رسم النعام . أما الأوانى الأخرى فهى أجل شكلا وأكثر زخرفة . مما لا يزال مستعملا الى اليوم فى مصر وبشمال افريقية ببلاد الجزائر والمغرب ، وهذا يدل على وجود صلة قديمة بهؤلاء .

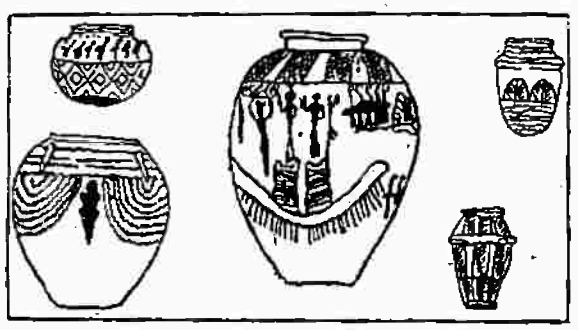

(ش ٤) اوان مصرية من عصر ما قبل التاريخ

ووجدت ببعض المقابر أمشاط للشعر ، زينوها من أعلاها بأشكال كانت غالبا تمثل رؤوس حيوانات أو طيور أو رأس إنسان .

وصنعوا أسلحتهم من الصوان (ش ٢) ، وكانت هذه خطوة لا يستهان بها ، خصوصا لصلابته وصعوبة نحته وما يتطلبه ذلك من مجهود وعناية .

ولبس المصريون النعال المصنوعة من الجلد ، وجعلوا لها أربطة (ش ٥) من الجانبين لتثبيتها على القدم .

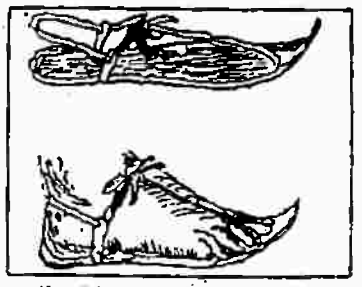

(ش ٥) نعال مصرية من عهد ما قبل التاريخ

وأخذوا يلتفتون تدريجيا إلى الزينة ، فعملوا العطور ووضعوها فى أوعية صغيرة كانت بأشكال مختلفة . واستمروا فى تقدمهم فراجت مصنوعاتهم وانتشرت تجارتهم . وازدادت صلتهم بالبلاد المجاورة وازداد عددهم . كما عرفوا المعادن واستخدموها فى مختلف أغراضهم وأدخلوها فى صناعة أدوات الزينة والتحلية ، فعملوا الأساور والعقود بعضها من الذهب ومن الحديد الأزرق الجميل الذى زادها رونقا ، وأعطانا فكرة صادقة عن ندرته وغلائه .

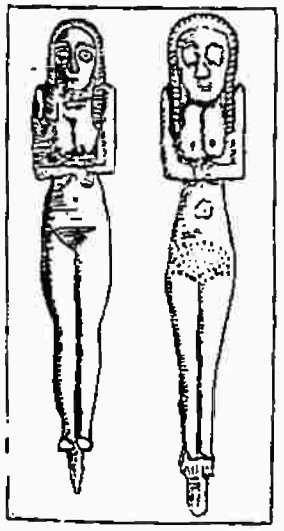

(ش ٦) تمثالان مصريان من عهد ما قبل التاريخ

وبدأت العقيدة الدينية تدب إلى نفوسهم نتيجة شعورهم بالوجدان والاجتماع ، وأخذت نظرتهم إلى الحياة تتطور ، فعملوا تعاويذ لجلب الرزق ولصد العين . وكانت هذه التعاويذ عبارة عن طيور وحيوانات عبدها المصريون أيام تحضرهم ، ورسموا بعضها فى مناسبات كثيرة .

واعتقد المصريون بخلود الروح ، فوضعوا فى مقابرهم كثيرا من الحبوب والتمر والتحف السابقة لعصر التاريخ .

وعند ما وصل المصريون إلى هذا المستوى ، فى وقت كان العالم فيه لا يزال فى ظلمات الجهل ، أخذوا يشعرون بحاجتهم إلى القانون وإلى الاتحاد لصد هجمات البلدان المجاورة ، فقام فيهم الملك مينا موحدا البلاد ، جاعلا من مصر السفلى والعليا مملكة واحدة ابتدأ بتأسيسها ، فبدأ بذلك عصر مصر التاريخى أو عصر الأسرات .

(يتبع) احمد موسى

معهد التناسليات

معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس لصيرشفلد فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والامراض والشذوذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة القذف طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ وسه ٤-٦ .. ملاحظة : يمكن اعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة اليسيكولوجية المحتوية على ١٤١ سؤالا والتى يمكن الحصول عليها بقرش ٥